



إن اتفقنا أولاً على أن الحروب، الأهلية منها تحديداً، ظاهرة بشعة في هذا العالم، ومن ناحية أخرى أن الفنون، بشتى أشكالها، ظاهرة جميلة في العالم ذاته، قد نصل إلى نتيجة أن مقارنة الحروب من خلال الفنون -الموضوع البشع والوسيط الجميل- هي الأكثر كشافاً لفضاعات تلك الحروب وعنقها، وهذا الكتاب، «دم الأخوين» (رياض الريس للكتب والنشر - بيروت - ٢٠١٧) يقدم دراسات متنوّعة عن تلك الفضاعات، من خلال قراءة أعمال وموضوعات فنية تناولت الحروب وأظهرتها، وهذا حالها، بشكلها الأكثر بشاعة.

لكنها، دراسات الكتاب، لم تقتصر على الفنون إذ امتد التنوع فيه إلى دراسات سوسولوجية في الحروب، وأخرى تاريخية، وهي منفصلة عن بعضها، إذ كُتبت لمناسبات ومنشورات مختلفة، إلا أنها تركزت حول موضوع أساسي هو الحرب، أو تحديداً الحرب الأهلية، مبتدئاً بدراسة «العنف في الحروب الأهلية: وظائف وطقوس» (أخذ منه العنوان الفرعي للكتاب) الذي يروي فيه، باستثنائية تعلق في الذاكرة، تحليلاً سوسولوجياً، ممتداً إلى «السيكولوجيا الاجتماعية» لطقوس سادت خلال الحرب الأهلية اللبنانية، ماراً بحالات فردية كان لأفعالها تأثيرات جماعية، وغير منتهياً بأدوار الطوائف والأحزاب والعائلات في تلك السلوكات الجماعية والفردية.

لذا فطرابلسي الخاصة حضوراً في انتقاء الأعمال الفنية التي من خلالها تحدّث، المؤرّخ، عن الحروب، فكان للحديث الموضوعي محفزات ذاتية، كأن يختار الحديث «عن الكاثار والشر وما يرسمون» إثر زيارة سابقة له إلى آثار معقل هذه المجموعة الدينية عند مدينة تولوز الفرنسية، أو عن الفنانين كاثي كولفتس وكارافاجيو، أو لوحة غيرنيكا لبيكاسو، وقد أفرد لها صفحات واسعة، ولطرابلسي كتاب صدر عام ١٩٨٧ هو «غيرنيكا-بيروت.. الفن والحياة بين جدارية ليكاسو وعاصمة عربية في الحرب»، يُعتبر «دم الأخوين» استمراراً له، لتشمل الدراسات أعمالاً فنية بأجناس مختلفة، فاختار مسرح هينر مولر ليكتب عنه، وقد أهدى سيرة ذاتية له، وفيلمياً بوسنياً هو «الدائرة الكاملة» ومسرحية «العصفور الأحذب» لمحمد الماغوط وقصائد له، وغيرها كالمصقات السياسية أثناء الحروب.

وإن كانت مواضيع الدراسات متفاوتة زمانياً ومكانياً وثقافياً وفنياً، إلا أنها أتت، هنا، مرتبطة بالراهن العربي، المشرقي تحديداً، فإضافة إلى الدراسات المكتوبة حديثاً (الأخيرة منها كانت افتتاحية العدد الأخير من مجلة بدايات التي يحررها طرابلسي، [وأعدنا مؤخراً نشرها، عن المجلة، في رمّان](#)) هنالك إضافات على تلك المكتوبة في أزمنتها، كالدراسة



الأولى وهي ترجمة منقحة لفصل من أطروحته الفرنسية الصادرة عام ١٩٩٣.

بذلك، تخطى الكتاب احتمال أن يكون كتلة واحدة من دراسة قد يشعر القارئ بالافتقار منها في منتصفها فيفقد، وقد أُرهِق، رغبته في مواصلة القراءة، كما أنه تفادى أن يكون تجميعاً لمقالات قد تُعيب القارئ في محاولاته لإيجاد رابط بينها. وتذكر طبيعة الكتاب بكتّابي الناقد الألماني فالتر بنيامين المترابطين: «إشراقات» (Illuminations) و«تأملات» (Reflections)، وهي دراسات ثقافية في شتى المواضيع الفنية والأدبية والاجتماعية والفلسفية وإن لم تكن مواضيعه مترابطة بالشكل الذي هي عليه هنا.

بالحديث عن الحروب، إن كان الكتاب، أي كتاب، المتضمّن دراسة واحدة بموضوع واحد يهجم على قارئه من محور واحد، فإن «دم الأخوين» و«إشراقات» والكتب المماثلة تهجم على قارئها من عدّة محاور، لكل منها قراءته وموضوع قراءته الخاصين.



نقرأ في كتاب طرابلسي عن العنف والحرب وتمثيلاتها في أكثر من شكل فني وأدبي، ونعرف كم هو، العنف، سلوك



“إنساني” أكثر منه حيوانياً، ننتبه إلى أفكار فرعية عديدة، لن أجعل هذه المقالة تعداداً سريعاً لها، فلن يفحصها غير قراءتها. وننتبه، كذلك، لأعمال فنية كانت، هنا، بمثابة اقتراحات الكاتب للقارئ كي يطلع عليها، يشاهدها/يقراها، ليفهم أكثر وحشية هذا العالم، وقد لخص طرابلسي ذلك في الصفحة ١٧١ قائلاً:

“بوسع الواقع أن يتشبه بالأدب قدر ما تريدون. يتغلب الأدب على الواقع في جولات وجولات. لكن الواقع لا يلبث أن يبرّ الأدب عنفاً. يتوحّش تخيل الأدب لينافس الواقع. يزداد الواقع توحشاً لينتصر على الأدب. ليس الواقع أغرب من الخيال. الواقع أغرب من واقعه. الواقع أوحش من أوحش ما في الخيال.”

ننشر قريباً مقابلة أجريتها مؤخراً مع طرابلسي تناولت مواضيع فلسطين وسوريا واليسار.

الكاتب: [سليم البيك](#)